مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

دريدا قارئاً أوغسطين: التفكيك والكذب

الدكتور منذر شباني [*]
الدكتورة عفراء اسماعيل [**]
لينا حميدوش [***]

(تاريخ الإيداع 18 / 3 / 2018. قبل للنشر في 10 / 9 / 2018)

□ ملخّص □

ناقش هذا البحث مفهوم الكذب الأوغسطيني من خلال قراءة دريدا التفكيكية له. وهدفه المحدد هو تفكيك وبحث في نظرية المعنى الكامنة في فعل الكذب، كفعل لغوي، قصدي. من هنا ركز البحث أولاً على تحديد مفهوم الكذب، ثم ناقشنا إطار القول في الكذب لنرصد كيف اخترق التفكيك إطار النص الأوغسطيني وبنيته الداخلية، ليصل إلى الحديث عن نية الخداع بوصفه المعيار الذي يميِّز الكذب عن حالات عدم الصدق، وتفنيد حالات اللاكذب، كالمزح والخطأ وغيرها. ومن خلال هذا التمييز ناقشنا الإطار الأخلاقي الذي حلَّل به أوغسطين لأنواع الكذب. لنخلص إلى تكثيف نتائجه في خاتمة تعرض بعض ما توصلنا إليه من أفكار تعتبر بمثابة استراتيجيات أحصيناها داخل القراءة الديريدية للنص الأوغسطيني حول هذا مفهوم.

الكلمات المفتاحية: التفكيك ـ الكذب ـ القصدية ـ القول ـ الحقيقة ـ الصدق.

[*] **أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**
[**] **مدرسة ـ قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**
[***] **طالبة دكتوراه ـ قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

Derrida in Light of Augustinian; Deconstruction and lying

Dr. Monzer Shbani*
Dr. Afraa Ismael**
Lina Hmaidoush***

(Received 18 / 3 / 2018. Accepted 10 / 9 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research had discussed the concept of Augustinian lying in light of the deconstruction reading of Derrida. The one specific goal is to deconstruct and delve deeper into the theory of embedded meaning in the act of lying as it is a linguistic and in tentional act. Based on this, it will orient Focus towards first specifying the concept of lying, Then discussed the frame of saying in lying to deduce how deconstruction went through the Augustinian text and its inner construction, to finally get to talking about the intention of deception this is basically the criteria against which lying is measured and distinguished from other events of non_ truth. Then the research will tackle those of non_ lying such as joking and the like through this distinction the research will tackle the moral frame via which Augustine analyzed the types of lying. After words, it accumulates its out comes in a conclusion presenting some of the findings as in ideas that are taken as strategies we deduced out of the Derrida's reading of the Augustinian text regarding this concept.

Key Words: Deconstruction, lying, intentionality, saying, innocence .

*Associate Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria .
- **Assistant Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria.
- ***Postgraduate Student, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة:

يربط أوغسطين الكذب بالإرادة؛ أي بوصفه قصداً ناتجاً عن معرفة، ومرتبطاً بالفعل، الذي نتوجه به للآخرين لكي نُسمعهم قولاً أو مجموعة أقوال إنجازية نحاول من خلالها خداعهم، ومن هنا فإن الحكم لا يكون تابعاً لشكله الظاهري بل للمقاصد الباطنة لدى الكاذب. ووفقاً لهذا فقد اعتبر أوغسطين الكذب فعلاً مقصوداً، تمارس نية الخداع الدور الأساسي في تمييزه عن حالات عدم الصدق(كالخطأ والمزح والشعر... الخ). فدور الفعل لا يمكن أن يدل على أيَّ شيء إلا بعد التأكد من قصد الفاعل، فلا وجود لفعل مالم يصحبه قصد. وهكذا يكون الخطاب نوعاً من الفعل لأنه مقصود غالباً ولا وجود لأي تواصل دون وجود قصدية تنتمي إلى ما وراء فعل التواصل. وبالتالي، فإن الأفكار الكاذبة كما أكد دريدا تنتمي إلى ما وراء المعرفة، والتي هي بنية مغايرة للمعرفة الأوغسطينية التي تنطوي على إخفاء أفكارنا خلف ستار تعابيرنا. وانطلاقاً من القصدية العقلية التي ناقش بها أوغسطين فعل الكذب فسرَّ دريدا قصدية الأفعال الكلامية أو قصدية المعنى، وأكد على أن قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثّل الأشياء في العالم عن طريق حالات عقلية. ففي نظرية الأفعال الكلامية تمثل الأفعال الإنجازية الواقع الموجود بشكل مستقل، وبقدر ما تنجح أو تخفق في تمثيله تمثيلاً دقيقاً يقال إنها صادقة أو كاذبة. وبهذا المعنى، يتخذ الكذب عند دريدا طابعاً إنجازياً مرتبطاً بالفعل والأداء، حيث نبَّه دريدا إلى أن ما يجب السؤال عنه ليس مفهوم الكذب، بل فعل الكذب وارتباطه بالقصد، ودوره في التمييز بين المعنى التعبيري والقوة العرضية للأفعال. فإذا كان الكذب عند أوغسطين هو مخالفة ما في العقل وعلمه، فالكذب، عند دريدا، له مقاصد متعددة تتغير حسب الوظيفة التي يتوجب من خلالها الوصول إلى أهداف معينة. وبالتالي، فالكذب عبارة عن فعل مقصود ودائما ما يرمي إلى سلطة سيادية ذات قدرة على الإخفاء. وهكذا، فهو يتخذ صيغة الفعل الإنجازي، أي هو الكلام الذي يتوجه إلى الآخر وفق شروط أساسية ومنها الوعي والعلم، وهذا ما أسماه أوغسطين بالرغبة الواضحة للخداع.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من مناقشته لموضوع الكذب من حيث ارتباطه بالقصد، كفعل لغوي، والتمييز بين القصدية على المستوى العقلي التي تبناها أوغسطين وبين قصدية المعنى وارتباطها بالأداء، المتضمنة في نظرية الأفعال الكلامية والتي قدّمها دريدا، من أجل ذلك يسعى البحث لتقديم تحليلاً سيميائياً لمفهوم الكذب من خلال القراءة الديريدية للنص الأوغسطيني.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الكذب وعلاقته بفعل القصد ونية الخداع، ودور فعل القصد في التفريق بين المعنى التعبيري والقوة العرضية للأفعال التي ينوي المتكلم نقلها للأخرين، وذلك من خلال تقديم قراءة دريدا لمفهوم الكذب الأوغسطيني، والتي طرحها في كتابه " تاريخ الكذب".

منهجية البحث:

سنتبع في هذا البحث منهج التحليل اللغوي النصيّ(التناص) الذي يساعدنا على إظهار تداخل النص الأوغسطيني مع نص جاك دريدا في تحليل مفهوم الكذب. بالإضافة إلى استخدامنا للمنهج الوصفي التحليلي الذي يُعتبر من المناهج الحديثة في دراسة اللغة.

النتائج والمناقشة

أولاً: مفهوم الكذب:

يختار دريدا أن ينفذ إلى النص الأوغسطيني من خلال إحدى الأسئلة الرئيسية الثلاث التي طرحها في رسالته "في الكذب"، والتي يمكننا تلخيصها بإيجاز كالتالي:

1. ما هو الكذب؟
2. ما مشروعية عدم الكذب؟
3. ما هي الظروف التي تكون فيها الأكاذيب محظورة أو مسموح بها أو ملزمة؟

وانطلاقاً من ذلك، تبدو المسألة الأولى لنا ذات أهميّة كبيرة، وذلك لأنها تُعرفنا على موضوع الدراسة كما حدده أوغسطين وتناوله لاحقاً دريدا. فمقصد أوغسطين من سؤاله ما هو الكذب، واضحاً فهو يسعى لجعل تعريف الكذب، نقطة البداية التي يمكن من خلالها البحث عن معنى آخر يمكن إضافته إليه" مفهوم الكذب". وهذا ما كانت قد أشارت إليه الباحثة الإيطالية REMO GRAMIGNA عندما شددت على أهميّة سؤال الكذب قائلة:" إن سؤال الكذب ضروري، كونه غالباً ما يسبب لنا إزعاجاً في حياتنا اليومية، خشية أننا كثيراً ما نلقي اللوم على أنفسنا على ما هو، في الحقيقة، ليس بكذبة ومن جهة أخرى، خشية اعتقادنا بأنَّ علينا أحيانا أن نبتعد عن الحقيقة بقول كذبة من خلال شعور بالشرف، الواجب أو حتى الرحمة"[1]. وفي هذا السياق أيضاً، يذهب دريدا إلى القول بأنَّ ما يجب السؤال عنه ليس مفهوم الكذب، بل فعل الكذب وارتباطه بالقصد، ودوره في التميز بين المعنى التعبيري والقوة العرضية للأفعال التي يقصد المتكلم نقلها للآخرين فيقول: "إن السؤال الذي يجب طرحه ليس هو "ما الكذب" ولكن " ماهي طبيعته، وما المقصود من فعل الكذب؟"[2]، ففعل الكذب يعني أن نتوجه بالكلام إلى الآخرين لكي نسمعهم قولاً أو مجموعة أقوال إنجازيه نحاول من خلالها خداعهم. وهنا نجد إحدى مقومات الكذب الأوغسطيني، وهي الانقسام بين الفكر والكلام. بمعنى آخر؛ محاولة نفي التطابق بين الفكر الداخلي للكاذب مع الموضوع الخارجي المعطى عن طريق الكلام وغيرها من العلامات. لذلك يعرَّف أوغسطين الكاذب بأنه " كل من يفكر في شيء، ويقدَّم شيئاً آخر بكلام أو بأيَّ نوع من الإشارات والحركات"[3]. بينما يرتبط فعل الكذب عند دريدا بالوعي والمعرفة ـ أي فعل مقصود ـ وفي هذا الصدد يقول:"

[1]- REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics, university of tartu Jakobi, Tartu, ESTONIA,2013,P.451.(The questuon of lying is important since it often disturbs us in our daily actions(1)last werashly blame ourselves for what, in reality, is not a lie, on the other hand,(2) lest we think that at times we must deviate from the truth by telling a lie through a lie through a sense of honor, of duty or even of mercy)

[2] -دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 2016، ص.25.

[3] -أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب. ت: يوحنا الحلو، ط1، دار المشرق، بيروت،2007، ص .129.

فعل الكذب، ناتج عن معرفة من قبل المخاطب، هذه المعرفة وهذا العلم، وهذا الوعي ضروريين لفعل الكذب"[1] وهذا ما كان قد أكده أوغسطين قائلاً بأنَّ" الكذَّاب يراوغ في قلبه، إذ يحمل فكره معنيين: يقبل ويختزن ما يعرف صحيحاً من دون أن يقول، وفي الوقت عينه يقدّم بديلاً عنه مع علمه بأنه خطأ"[2].

فالكذب كمفهوم يقدَّم شخصية مزدوجة، حيث يكون لدى الشخص نفسه بتعبير أوغسطين" قلب مزدوج، وبالتالي فكر مزدوج"[3]. وتتجسد هذه الازدواجية في الثغرة المتواجدة بين الحقيقة التي يخفيها داخلاً وتلك التي يعبَّر عنها خارجاً. وهنا تجدر الإشارة أنَّ دريدا يوافق الرأي الأوغسطيني في أن "فعل الكذب ينتج تاريخانية من نوع آخر، تاريخانية داخلية للكذب"[4]. وهذه التاريخانية الداخلية تتعلق بالكلام كفعل إنجازي. يقترن بها القول بإنجاز الفعل، فالفعل القصدي يكشف في هذه الحالة عن سلطة سيادية مع القدرة أو القوة للإخفاء أو الإنجاز. وهذا يشابه ما يعرف في نظرية أفعال الكلام بالمحتوى القضوي والقوة المتضمنة في الفعل، وإن مثل هذه الحالة القصدية تربط المضمون القضوي المحتوى بالجملة* بالعالم الواقعي مع التزامات مختلفة من المطابقة.

ومما سبق نستطيع القول، إنه إذا كان الكذب عند أوغسطين هو الذهاب ضد العقل، من حيث ارتباطه بنية الخداع وبالتالي فهو" النطق بغير الحقيقة، وهو كلام يقصد به الغش والخداع وإخفاء الحقيقة"[5]، فقد تحول عند دريدا إلى معنى أدائي مرتبط باللغة، من حيث إن كل أداء ينتج بلا شك شيئاً، هذا الشيء يكون فعلاً إنجازياً. فاللغة يمكن أن تستخدم لتنجز وعداً أو تصريحاً أو قصداً إلى غير ذلك من الأفعال التي يقترن بها القول بإنجاز الفعل.

ومن هنا فالتأكيد على القصد في القول واللفظ يُعد من أهم الخصائص التي تُؤسس لمفهوم الكذب، في قراءة دريدا لأوغسطين.

ثانياً: إطار القول في الكذب(القصد ونية الخداع) :

تنطلق قراءة دريدا في تحليله لمفهوم الكذب من التعريف الأوغسطيني القائل: "بإنه لا يمكن اعتبار الكذب على أنه حدث أو حالة، أنه فعل مقصود، وبدل الحديث عن الكذب يجب الحديث عن فعل الكذب، فلا وجود بتاتاً للكذب، بل لفعل القول، أو اعتزام القول والذي يربطه بفعل الكذب"[6]. يتضمن هذا التعريف ـ الذي يعتبره دريدا أساساً لطريقته في تفكيك مفهوم الكذب ـ فكرتين جوهريتين: أولاً: تعريفاً للكذب على أنه فعل مقصود، والذي بدوره يفترض وجود علاقة جوهرية بين الكذب والقصدية. وثانياً: تعيناً للمعرفة التي يتضمنها العنصر المتمثل في الوعي، والذي أسماه دريدا ب"الوعي الانعكاسي بالذات"[7] Reflective self Consciousness. هذا المفهوم الذي يشير إلى العلاقة القائمة بين بين الحقيقة والقول والوعي والمعرفة التي يمتلكها القائل، فهذه العلاقة تفترض وجود معرفة مطلقة يتضمنها العنصر المتمثل في الوعي الانعكاسي، والذي بدوره يؤكد استحالة الكذب على الذات لأنه من غير الممكن للإنسان أن يقول لذاته وعن قصد أشياء مختلفة عن تلك التي يفكر فيها فعلاً بقصد خداعها أو إلحاق الأذى بها إلا إذا اعتبرها بمثابة آخر مستقل وهذا ما ينفيه دريدا. وهنا نلاحظ بأنَّ كل من أوغسطين ودريدا يجعلان من الملفوظ فعلاً موصولاً بذاتٍ

[1] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)،ص .25.
[2] - أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب. ت: يوحنا الحلو،(مصدر سبق ذكره)، ص.129.
[3] - REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,P.458.
7- دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)،ص.33.
*** اي المعنى الحرفي للجملة**
[5] - أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب. ت: يوحنا الحلو،(مصدر سبق ذكره)، ص.132.
[6] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدرسبق ذكره)، ص.25.
[7] -المصدر نفسه، ص.40.

واعية ومعرفية. وفي إطار كهذا، يُعاد التفكير في الذات من حيث هي سيدة الأقوال والأفعال ومصدر إنتاجها. وتصبح بذلك الذات المتكلمة" السلطة المتميزة في مسألة الكذب"[1].

وبهذا المعنى، فإذا كان الكذب عند أوغسطين يُعرَّف بوصفه قصداً أو إرادة واضحة للخداع، ناتجاً عن معرفة ووعي، فإن القصد نفسه لا يمكن الكشف عنه إلا بتحليل فعل الكذب. وعندئذ فنحن لا نعرف الكذب إلا في قول المخاطب، ولا نحكم على القول إلا متى ارتقينا، كما يذهب دريدا إلى" محتوى ما نحن ملزمين به اتجاه الآخرين، بحيث إن فعل الكذب يبدو للكاذب كلياً على أنه خيانة وأذى وتقصير في رد دين أو القيام بواجب"[2]. وبهذا فالكذب ليس ميل نسعى من خلاله إلى خداع الآخرين فحسب، بل هو ملكة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، من حيث مقدرته على الكذب. لذا فإن عمل دلالة الكذب عند دريدا يبدو على عكس ما أراده أوغسطين فهي تتضمن عند الأول في الإخفاء أو التعتيم، أو الكذب بلا نص، وكل هذه الأدوات الدلالية تظهر ضرباً من إرادة القول، إنها على الأقل تُظهر شيئاً ما أو تعكس نمطاً ونشاطاً اجتماعياً. فأوغسطين لم يفعل إذاً أمام الكذب إلا أنه حصر هذا النشاط الاجتماعي وإرادة القول بخطيئة اللسان. وهنا نلاحظ أن دريدا يرى أن هذا الفعل يمثل قوة التلفظ، والذي يعني أن المتكلم حين يتلفظ بقول ما، فهو ينجز معناً قصدياً Speaks intention أو تأثيراً مقصوداً، ويجب أن يتوافر في هذا المعنى الإنجازي شرط السياق العرفي المؤسساتي، لغة ومحيطاً وأشخاصاً.

ومن هنا يتضح ارتباط القصد عند أوغسطين بالعقل، هذه القصدية المهتمة في تفسير المعنى بالنظر إلى مقاصد المتكلمين وغاياتهم في التواصل. وبالتالي، الكلام كما يشير حسن حنفي في كتابه ـ نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ـ " لا يعبَّر عن فكر المتحدث بدليل مواقف الكذب والنفاق، بل(...) قد يخبئ مضمون النفس في الخداع والايهام"[3]. وبالتالي، فإن المعرفة الداخلية والقصد اللذين يتواجدان في عقل المتكلم هما المعيار الجازم للخداع.

بالنسبة لأوغسطين،" إن الكذب شرير إلى درجة أنَّ الكاذب يتعدى قواعد نقل الأخبار بعيداً عن الهدف العام الذي تمتلكه اللغة، والذي يكمن بنقل معرفة حقيقية. على سبيل المثال، قول أحدهم لشيء ما بالرجوع إلى نفسه ـ بمعنى آخر ـ الكذب هو خطيئة/ ذنب اللسان "[4]. وبدوره يسعى دريدا لربط قصدية أفعال العقل بقصدية الأفعال الكلامية مُعرَّفاً الكذب بأنه:" فعل أدائي، وليس صيغة وصفية جاهزة للغة، وأكثر من ذلك، فهو يمزج بفعله بين الصيغة الوصفية المعتادة على نحو مراوغ لا مفرَّ منه، وبين الوصفي الفعلي للغة"[5].ففي نظرية الأفعال الكلامية تمثل الأفعال الإنجازية للواقع الموجود بشكلٍ مستقل، بقدر ما تنجح أو تخفق في تمثيله تمثيلاً دقيقاً يجعلها تبدو صادقة أو كاذبة. وبهذا المعنى، يتخذ الكذب عند دريدا طابعاً إنجازياً مرتبطاً بالفعل والأداء وذلك لأنه" يتضمن في الوقت نفسه وعداً بقول الحقيقة وخيانة لذلك الوعد، ويرمي إلى خلق الحدث والدفع إلى الاعتقاد، في حين أنه لا يوجد أيّ شيء قابل للمعاينة، أو على الأقل بإمكان المعاينة احتواءه بصفة شاملة"[6]. ويمضي دريدا في تأملاته حول العلاقة بين قصدية أفعال العقل وقصدية المعنى، مؤكداً أنَّه يستحيل معرفة القصد في أفعال الكلام والجزم به، كما أنه لا يمكن التنبؤ بأثر التلفظ لقولٍ ما، فإذا انتفى الصدق في انجاز الفعل فإنه لا يمكننا وصف الأمر هنا بسوء استخدام فعل اللغة، بل بعدم الإيفاء

---

[1]- REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,op.cit.,P.452.

[2] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.25.

[3] حنفي، حسن. نصوص من الفلسفة المسيحية أوغسطين، انسلم، الاكويني. القاهرة،1967، ص.27.

[4]- REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,op.cit,P.455.

-[5] JACQUES,DERRIDA. Without Alibi.Stand ford; stand ford university press,2002,p.169.

[6] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.31.

بالوعد أو القول. ومثال على ذلك، القول بأني أعد pomise في حين أني عازم على عدم الإيفاء بالوعد. فمعنى الوعد هنا يقام وراء الكلام اللفظي؛ أي المعنى الباطني لما أنوي القيام به.

وهنا فالمقصد يبقى أهم اعتبار بالنسبة لأوغسطين، والذي ينَّوه عبر صفحات رسالته " في الكذب" إلى الدور الذي تلعبه هذه القصدية في تحديد الصدق أو الكذب من خلال العلاقة والتواصل بين الذاتي والحقيقة الموضوعية في تحديد فيما إذا كان الكذب يحدث فعلاً، ليُبرز بعدها الاختلاف "القائم بين حقيقة الأشياء المنطوقة ونوايا المتكلم"[1].وهذا ما يركز عليه دريدا في كتابه" تاريخ الكذب" عندما يذهب إلى القول أنه من خلال القصد يمكن أنَّ" يحدد كلا من الكذب والصدق على مستوى فعل القول، ويبقى مستقلاً عن صحة أو خطأ المحتوى، أي ما قيل"[2]. بين ما يقال ونوايا القول، فمعنى الصدق والكذب يتجلى في الأقوال مقروناً بالأفعال، فالفعل ترجمة حقيقية للرأي والصدق هو تطابق القول والفعل معاً. وبهذا المعنى فإن دريدا يؤكد أنه" لا يمكن الحكم على مدى مطابقة الأفعال للأخلاق إلا من خلال المقاصد"[3].

وهكذا، فإن هذا الإطار الأخلاقي واللغوي الذي ضمنه يحدد أوغسطين معالمه لتحليل فعل الكذب يغيب في دراسة دريدا للكذب وذلك لصالح التشديد على الجانب البراغماتي، بمعناه التداولي أو العملي، لا بمعناه الذرائعي. لذلك يركز دريدا على أثر ومفعول الكذب الذي يتضمنه ويحتويه هذا الفعل. وفي هذا الصدد يعلَّق دريدا بالقول:" إن الكذب والمفعول الذي يحدثه هذا المفهوم لا يرتبط فقط بالقصد الذي يكمن وراءه، بل وكذلك بالمفعول الذي يراد إحداثه، بإمكانهما البقاء بل ويجب أن يستمرا إلى مالانهايه، وألا يظهرا أبداً على أنهما كذلك"[4]. وبهذا يعتبر دريدا أن الكذب هو هو فن مرتبط بالفعل، من حيث ارتباطه بالتفكير والوعي وليس جزءاً من الكلام فقط، ومن هنا فإن الكذب بالنسبة له هو" قول إنجازي، أي هو الكلام الذي يتوجه به إلى الآخرين وفق شروط أساسية (الوعي والعلم..)"[5].

ومن هنا جاء الاقتراح الديريدي بتسمية مفهوم الكذب (القصدي) الأوغسطيني" بالمفهوم المطلق للكذب، والطلاقة هنا هي رهينة بالوضوح القوي والحاسم، يتحول هذا المفهوم إلى ظاهرة خالصة فمن المستحيل وضع الأصبع عليها وتقديم براهين لإثباتها وإخضاعها بطريقة صارمة لأي حكم نظري تحديدي"[6]. ومن خلال هذ النص يسعى دريدا للكشف عن صعوبة تحديد الكذب كمفهوم قائم بذاته، لأن الكذب ليس له وجه واحد، وليس شأنه شأن الحقيقة، فهو ليس مفهوماً تقنياً بعيداً عن التجارب الاجتماعية والتأويلات المختلفة وأساليب ممارسة فعل الكذب تبقى قابلة للتغيير. وبالتالي ما يراه إنسان محدد كذب يمكن أن يراه الآخر صواب، وحقيقي، خاصة وإن الكذب لا يتجانس مع الواقع، ومع الحقيقة، ويعود في كثير من الأحيان لتحصيل منفعة ما وهذا ما يحيلنا إلى قول بروتاغوراس واعتقاده بأن الإنسان مقياس كل شيء؛ أي أنَّ الخير والشر الصح والخطأ، كلها يجب أن تُحدد بحسب حاجته. ومن هنا لا يمكن أن نعتبره في علاقة تناظر مع الحقيقة. إلا إن دريدا يؤكد أنَّ المفهوم الطليق للكذب تتضمن صعوبات عدة تتعلق الأولى بالصمت، وذلك لأنَّ الصمت أقسى أنواع الكذب، ومن ثم يكون الكذب بالقلب واللسان وبالأعمال فيقول:" هناك أولاً، الصعوبة المرتبطة بالسكوت والإخفاء وربَّما بتظاهرٍ صامت"[7]، أي ما يمكن أن يسمى هنا كذبٌ صامت. فعلى سبيل المثال،" إذا سُئلنا عن شخص ما مطلوب للعدالة، فلا نضطر إلى تسليمه حيث يوجد في مكان لا يمكن اكتشافه إلا بوشاية، فعندما نُسأل

[1] REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,P.459.

[2] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.26.

[3] - المصدر نفسه، ص.27.

[4] - المصدر نفسه، ص.113.

[5] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.25.

[6] - المصدر نفسه، ص.29.

[7] -المصدرنفسه، ص.26.

عما إذا كان حقاً في ذلك المكان، فالتزامنا بالصمت على الرغم من أننا عالمون بمكان وجوده، وأكدنا الرفض عن الجواب مهما يكن السبب، نخون الشخص المطلوب لأن السائل يستنتج من خلال جوابنا أنه هناك وإلا فمن أراد ألا يكذب ويخون وجب عليه أن يقول ليس مطلوبك هناك. إذا ذاك نخدع السائل من خلال جوابنا كما ينخدع بالصمت الذي نلتزمه"[1]. ووفقاً لهذا المثال الأوغسطيني لا يمكن الجزم بأن كل نوع من الصمت ينطوي بالضرورة على الإخفاء بقصد التضليل. وهنا نصل إلى نقطةٍ هامةٍ في التقاطع بين النص الأوغسطيني والديريدي، وهي الاختلاف بين الأسرار والكذب. فيؤكد دريدا ضرورة التمييز بين الكذب والسر. فالكذب يتطلب موضوعاً مقصوداً، وعندها ستستخدم اللغة للخداع، في حين أنَّ السر لا يهدف إلى الخداع. وبالتالي، فإن دريدا، يميز بين نوعيين من الأسرار" السرية المحدودة حيث لا يتم إخفاء شيء ما يتم الكشف عنه لاحقاً، والسرية المطلقة حيث لا يتم الكشف عن الشيء الدفين لكنه يبقى كما كان منيع وغامض ومجهول"[2] ، واللغة تتضمن هذين النوعيين من السر، مع الإشارة إلى أن اللغة الشعرية تنتمي إلى النوع الثاني كونها منفصلة كليا عن قصد الكاتب، وتتمتع بالوقت نفسه بعلاقة خاصة معه وبالتالي، يبدو من الصعب لدريدا "معرفة هل بالإمكان إيجاد لغة محددة المعالم كفيلة بالإحاطة به. والإيفاء كذلك بالالتزام القاضي بقول الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة "[3]. أما الصعوبة الثانية والأكثر أهمية بنظر دريدا فهي تلك التي" تتعلق بمعرفة إذا كان الكذب، وحتى الكذب الطليق، يبقى دائماً عالقاً في الأقوال التصريحية"[4]. لم يقدم دريدا إجابة حاسمة على هذا السؤال وإنما ترك الباب مفتوحاً لكل الاحتمالات، وساعياً في الوقت نفسه إلى تحديد طبيعة العلاقة والتي توجد بين الخطاب(الصريح والضمني) ومختلف الظواهر المرتبطة بالصمت، وتهدف إلى خداع الآخرين وأحياناً إلى الحاق الأذى بهم، بل قد "تكمن من ورائها مقاصد حسنة لا يمكن التشكيك فيها"[5] وهنا يحيلنا دريدا إلى مفهوم السيادة التي يحتويها الخطاب الضمني، أي يكشف عن سلطة سيادية مع القدرة أو القوة للإخفاء محرراً هذا المفهوم ـ السيادة ـ من المعنى التقليدي الذي يركز على علاقتها بالعنف، وذلك لصالح " ايضاح علاقتها بالأسرار"[6]، أو ما يسمى بالخطاب الضمني، وبالتالي وبالتالي يتعين علينا الانتقال من المعنى الصريح إلى المضمر التأكد أولاً من المعنى الصريح أو الإشارات التي تصدر عنه، وقد أشار أوغسطين إلى ذلك عندما أكد على أنه" من بين جميع العلامات، الكلمات تحتل المكان الأول، فإن كان أحد ينوي أن ينقل شيئاً كاذباً عن طريق الإيماء، فإنه لن يكون بريئاً من الكذب"[7].

ثالثاً: نية الخداع بوصفه معياراً لتمييز الكذب من حالات اللاكذب :

بعد أن حددنا مفهوم الكذب وعلاقته بالفعل القصدي، باعتبار الأخير السمة الأساسية له، والتي سيسعى البحث للبرهنة عليها من خلال الحديث عن نية الخداع كمعيار لتمييز الكذب من حالات اللاكذب الأخرى. إذ شرع دريدا إلى تفكيك دالة الكذب بدءاً من تمييزه وتفنيده لحالات اللاكذب، والتي أسماها أوغسطين "بحالات عدم الصدق"، أي تلك الألفاظ والمفاهيم التي تلتبس بالكذب، كالخطأ والمزاح، والحنث، والايديولوجيا وحتى الشعر.

[1] -أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب. (مصدر سبق ذكره)، ص .107.

[2] - Barbour,Charles. The secret, The sovereign,and the lie; Reading Derrdia's last seminer. School of Humanities and communication arts, university of western Sydney, Australia, 2012,p.119.

[3] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.29.

[4] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.30.

[5] - المرجع نفسه، ص.30.

[6] - Barbour,Charles. The secret, The sovereign,and the lie; Reading Derrdia's last seminer. School of Humanities and communication arts, university of western Sydney, Australia, 2012,p.119.

[7] - REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,P.479.

بناءً على هذا التمييز ذهب دريدا إلى التأكيد أنَّ الكذب لا يقف ضد الحقيقة. وبالتالي، لا يُعد نتيجة لوجهين فقط هما: الحقيقة والخطأ. فالخطأ لديه الكثير من الأشكال، كذلك الحقيقة أصبح لديها أكثر من نظير، ولم يعد مفهومها مرتبطاً بالمفهوم التقليدي المتمثل بالتطابق مع الواقع وتمثيله، بل ارتبطت في مرحلة ما بعد الحداثة بأشكال عدة كالخطأ تماماً. وفي هذا السياق يقول دريدا " أنَّ الحقيقة يمكن أن يعبَّر عنها على شكل اعتراف"[1]. وهذا ما أشارت إليه الباحثة ريموغرامينا(REMO GRAMIGNA) عندما تحدثت عن أنواع الباطل قائلة:" إذا كان للباطل، كما للحقيقة وجه واحد فقط، فإن علينا استخدام مصطلحات أفضل، لأنه علينا عندئذٍ اعتماد ذلك بكل تأكيد ضد ما يقوله الكاذب: لكن لعكس الحقيقة مئات آلاف الأشكال ومجال لا حدود له، دون قيد أو حد"[2]. فهنا ريموغرمينا في إشارتها إلى الأشكال العديدة للباطل، قد شددت على فكرة أوغسطين وتركيزه على ضرورة التمييز بين الكذب وأنواع الباطل الأخرى. بمعنى آخر، فإن ما يجب التركيز عليه هو أن" الكذب والحقيقة ليست في علاقة تناظر/ تماثل"[3].

وفي هذا السياق، فقد تجدر الإشارة إلى أن أوغسطين قد أكد أنه لا يمكن تحديد أنواع الكذب إلا من خلال تفنيد حالات اللاكذب أولاً. فبيَّن حالات الباطل واعتبرها مظهراً من مظاهر عدم الصدق، وأبرز الفرق بين الكذب والمزاح، وكذلك الكذب والخطأ. فالمزاح ليس كذباً برأي أوغسطين، والمعيار الذي يميز بين الاثنين هو نية الخداع. فالأول" المزاح" يفتقر إلى أي نية للتضليل، وهو نوع من عدم الصدق، من حيث إنه ينطوي على الخطأ. فعلى سبيل المثال، إذا تكلم شخص ما قولاً يحمل الخطأ، واتبع هذا القول بغمزة للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يؤخذ هذا القول على محمل الجد، فهو لا يكذب. وبهذه الحالة لا يعتبر المتكلم كاذب. لأن القول يفتقد إلى المعيار الأساسي للكذب ـ أي نية الخداع ـ.

فالكذبة ببساطة كما عرّفها أوغسطين هي مخالفة ما هو في ذهن المرء وعلمه. وبالتالي، فالكذب يعتمد على نية الخداع، الذي يفتقر إليها المزاح. على الرغم من أن الظاهرتين " الكذب والمزاح" يشتركان في سمة واحدة على الأقل، من حيث إن كلاهما يستوفيان معايير التعامل مع الباطل. بالنسبة لأوغسطين، " المزاح هو نوع من عدم الصدق فهو ينطوي على الخطأ"[4]. لذلك فهو يضع تمييزاً جيداً بين المزح والكذب، فالكذب يشير إلى وجود نية مسبقة للخداع في حين أن المزح يقول شيئاً غير صادق بقصد التمتع " توفير المتعة". ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ الفن والشعر يتعلقان بالنوع الثاني. فالقصائد مثلاً مليئة بالأكاذيب، ولكن الهدف منها هو تحقيق المتعة والفرح. وكذلك الأمر ينطبق على الخطأ بحسب أوغسطين. فالخطأ ليس كذباً. دريدا قد وافق على هذا التمييز الأوغسطيني الذي من شأنه أن يلعب دوراً كبيراً في تحديد العلاقة بين النية السيئة والنية الحسنة قائلاً:" قد يقول شخص ما... صحيح أني قلت هذا، ولكنه ليس ما كنت أقصد قوله، كانت نيتي حسنة، ولم أكن أقصد في قرارة نفسي أنَّ أقول هذا، حصل سوء تفاهم...."[5] وهنا يميّز دريدا النية الخادعة عن النية الحسنة والتي توقعنا في الخطأ دون الخداع أو الأذى. يعلّق دريدا على التمييز الأوغسطيني بالقول:" هذا التمييز يكتسب بالنسبة لنا اليوم وبصفة متجددة أهمية قصوى، الكذب على الآخرين يتضمن الرغبة في خداعهم. وذلك حتى إذا كانت أقوالنا حقة والحال إنه بإمكاننا أن ننطق بأقوال خاطئة دون أن نكون كاذبين، وأن نقول أقوالاً حقة الهدف منها خداع الآخرين ونكون آنذاك كاذبين"[6].

[1] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب: مقدمة. ت: رشيد بازي،(مصدر سبق ذكره)، ص.56.

[2]- REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,op.cit,P.469

[3]- Ibib,op.cit,P.469

[4]-ibib,op.cit,P.469

[5] -دريدا، جاك. تاريخ الكذب، مقدمة:. (مصدر سبق ذكره)، ص.25.

[6] - المصدر نفسه، ص.27.

ومما سبق، نجد أن أوغسطين قد حدّد في رسالته بعنوان " في الكذب" المسافة القائمة بين الاعتقاد والانتقاد على النحو التالي: "إن كل من يعتقد شيئاً يعرف أحياناً أنه يجهل ما يعتقد، ولو لم يكن لديه أدنى شك بوجود ما يعرف، أنه يجهل هذا إن كان يؤمن به إيماناً ثابتاً. أما الذي يقتنع بوجوده فهو لا يكذب حتى لو كان ذلك الشيء غلطاً"[1]. وهذا يعني أن من يتكلم وفقاً لما يفكّر به ويعتقد أنه صحيح يمكن أن يكون مخطئاً ولكنه لا يقصد الكذب ولا الخداع. فالمرء كما ترى ريموغريمينا(REMOGRAMIGNA)" يمكن أن يقع في الخطأ، من غير أن يكون كاذباً، وربما ينقل أحدهم بعض المعلومات الخاطئة بدون كذب. إن صدقنا ما يقول حتى وإن كان خاطئاً. حتى وإن كنت مخطئاً، وفي حال لم أكن أريد تضليل أحدهم بنقل المعلومة، فأنا لست بالكاذب"[2] وتتحدد أهمية التمييز بين الكذب والخطأ لأنه من خلال هذا التمييز يمكن الحكم على الكاذب. فالأخطاء " لكي ينظر إليها على أنها أخطاء تحتاج مقارنة بين الأمثلة أو عملية معرفة أكثر عمقاً عن العالم"[3]. فالخطأ إذاً ينطوي على مفهوم الحقيقة على عكس الكذب الذي ينطوي على نيه إخفاء الحقيقة. وبالتالي فالحكم على الشخص أنه كاذب أو خاطئ يتوقف على" قصد عقله، وليس تبعا لحقيقة أو بطلان المسألة بحد ذاتها"[4]. وبذلك يكون أوغسطين ودريدا قد استبعدا كلاً من المزاح والخطأ كأنواع للكذب، بل نظرا اليهما كحالة من حالات عدم الصدق.

رابعاً: أنواع الكذب:

بعد تميزنا الكذب عن حالات اللاكذب الأخرى. سنسلط الآن الضوء على أنواع الكذب، وهي ثمانية أنواع كما حددها أوغسطين في رسالته " في الكذب".

أولى هذه الأنواع الكذب الذي يمس العقيدة الدينية، والتي لا يحقّ لأيٍّ كان ومهما يكن السبب، أن يقع فيها أو أن يدفع الناس إليها، لأنه أثم كبير، وهذا النوع من الأكاذيب الأشد كراهية. وذلك لأنه يتناول الإيمان والكذب على الله. مثال على ذلك، الصلاة، هي حديث مع الله، وهو حديث يتوجب أنَّ يكون نابعاً من القلب، لأنه روحي. وهنا يميز أوغسطين بين تواصل الناس مع بعضهم عبر الكلام، وبين تواصل الناس مع الله. فالحالة الثانية لا تستلزم كلاماً، لأنها عبارة عن تواصل روحي مرتبط بالقلب، فمن يقول شيئاً بلسانه ويخفي شيئاً في قلبه فهو يكذب.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، هو التمييز الأوغسطيني بين ما يعتبره الناس كذباً قام به بعض القديسين مستندين على شواهد من الكتاب المقدس، وبين كذب الناس العاديين قائلاً: " ما يقال أو يُعطى بأسلوب مجازي لا يعتبر كذباً، لأن كل ما يصرح به أو يعلن عنه مرتبط حتماً بما يعنيه قولاً وفعلاً. وكل حدث أو كلمة تعبَّر عن المعنى الذي تحتويه وتمنحه إلى الذين توجه إليهم، إذ يجب على القارئ السامع أن يعتقد ويؤمن بأن الناس الذين حيلت إليهم قد عاشوا في أزمنة الانبياء، واعتبروا أهلا لأن يتبوؤوا السلطة، فعملوا وقالوا كل ما جاء عنهم بالمعنى النبوي، وإن كل ما قد جرى لهم ومعهم بوحي نبوي كذلك كان أهلا بشكل طبيعي لأن يحفظ في ذاكرة معاصريهم، وبدون كتابة"[5].

يستند هذا النص الأوغسطيني، كما يرى دريدا، على " نوع من القداسة أو الحرمة(...) فهذه القداسة (...) الحرمة هي التي تكمن وراء ظهور الواجب أو الأمر اللامشروط بعدم الكذب، ويصبح بالتالي وجود قول الحقيقة أمراً مقدساً"[6].

---

[1] -وغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب. (مصدر سبق ذكره)،ص.128.

[2] REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,op.cit,P.476.

[3] Ibib,op.cit,P.477.

[4] Ibib,op.cit,P.477.

[5] - أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب.(مصدر سبق ذكره)،ص .43.

[6] دريدا، جاك. تاريخ الكذب، مقدمة:،(مصدر سبق ذكره)، ص.43.

وهكذا فبتطبيقه لفكرة الواجب والتزام الصدق يبدو الموقف الأوغسطيني موقفاً قطعياً والزامياً ولا مشروطاً إلى حد يتوجب معه اقصاء كل اعتبار تاريخي. بالإضافة إلى ذلك فأوغسطين كما يرى دريدا " يتناول الحالات الضعيفة والمقلقة منطلقاً من نماذج مأخوذة من الكتاب المقدس وعلى ما يبدو فهو يقضي على إمكانية وجود أي محتوى تاريخي عندما يحدّد الصدق بأنه واجب منطقي ومطلق"[1]. وبناء على ذلك، فالكذب بالمفهوم التقليدي كما يرى دريدا لا يمكن ادانته أو تحديده إلا بالتضامن والتزامن مع فكرة القداسة التي ورثها كانط وروسو عن أوغسطين مع اختلاف في المفهوم. ففكرة القداسة عند أوغسطين ترتبط باللاهوت والنص الديني، في حين ترتبط عند كانط بالجانب القانوني والاخلاقي هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن المفهوم التقليدي من خلال تأكيده على استحالة" أن يكون للكذب معنى، ولا يمكن تشخيص النواهي التي تؤسس مفهومه، خارج أفق القداسة، وبدون الرجوع إلى الاسم المقدس للحقيقة"[2].هنا يجد دريدا أن هذا الكلام ينطوي على صعوبة ومفارقة من حيث إن هاتين الفكرتين" تعكسان من خلال الشعاع القادم منهما تاريخانية مقدسة، وغريبة ومعيشة على مفارقات"[3].

أما النوع الثاني من الكذب فهو الافتراء، وهو الأذى"[4] وهو أسوء أنواع الكذب لأنه ينطوي على إيذاء الآخر، ومرتبط بالظلم.

أما النوع الثالث من الكذب، فهو التدليس، كما يسميه دريدا، وهو قائم على منفعة الواحد وإيذاء للآخر " من دون أن يتلطخ به جسدياً"[5]. فمثلاً، لدينا شخص يعرف أو يعتقد أنه يتحدث زوراً، ولكن يتحدث دون أن يكون لديه نية للخداع. وهذا هو الحال بالنسبة لشخص يدرك أن طريقاً محاصراً من قبل قطاع الطرق، وخوفاً من أن يكون صديقه الذي يهمه سلامته يأخذ هذا الطريق، يُخبر الصديق بأنه ليس هناك قطاع طرق. إذ يدرك أن صديقه لا يثق به، وبسبب الكلام الذي خلافاً لنية الشخص ليس لديه إيمان به فإنه يعتقد بالتالي أن العصابات هناك و يذهبون بهذا الطريق"[6]. تشير دراسة أوغسطين هنا إلى حالة الشخص الذي يقول الباطل دون نية التضليل على عكس النوع السابق، الذي يضمر الشخص داخله الظلم والايذاء، فيعبر عن خطأه هذا بزيف واقعي، لأنه يدرك تماماً حقيقة أن السامع لن يصدقه. وهذه الحالة تسمى " الصدق المتشكك" أي عدم وثوق المستمع في قول المتكلم بحسب أوغسطين.

وبالخلاصة، يمكن تحديد شروط التدليس بثلاث شروط كما عرضتها الباحثة ريموغرامينا(REMO GRAMIGNA) وهي:

" 1. حقيقة واقعية وكاذبة أكدها شخص ما بأنها صحيحة.

2. عدم ثقة السامع بالمتكلم

3. نية المتكلم تجاه السامع."[7]

وهنا إن كان اللجوء إلى مثل هذا النوع من الكذب ضروري ونتج عنه ضرر ليس من نوع النجاسة، فتلك مشكلة ولم يعد الأمر موضوع كذب. بل أصبح من الواجب البحث عمَّا إذا كان الحاق الضرر بشخص عن طريق الكذب،

[1] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب، مقدمة:،(مصدر سبق ذكره)، ص.47.

[2] - المصدر نفسه، ص.35.

[3] - المصدرنفسه، ص.35.

[4] وهو يتعلق بالذي يؤذي ظلماً وعدواناً ، وهو حافلا بالضرر.(أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب. (مصدر سبق ذكره)، ص.

[5] - المصدر نفسه، ص.158.

[6] - المصدر نفسه، ص.131بتصرف

[7] - REMO,GRAMIGNA.Augustine on lying;Atheoretical frame work for the study of types of falsehood, department of semiotics,P461.

ضرورياً لإبعاد خطر النجاسة عن شخص آخر. يرفض أوغسطين مثل هذا الرأي لأن الحاق الضرر بأي شخص، لكي نحمي انساناً آخر من الوقوع فيه هو شيء مشين. وفي هذا السياق، يقول: " لا يجوز أن نهين إنساناً من أجل مساعدة إنساناً آخر"[1].

وعلى النقيض من التدليس القائم على قطع نية تأكيد الباطل في نية الخداع، النوع الرابع من الكذب فهو يعتمد على حالة تضليل ما عن طريق قول الحقيقة.

وبالعودة إلى شروط التدليس، نجد أن أوغسطين يركز على الشرطيين الأول والثالث، ويستبعد الشرط الثاني على سبيل المثال المتحدث يعرف أو يعتقد أن هناك قطاع طرق على الطريق، وهذه المطالبة تتفق مع الحالة الأولى وهنا نية المتكلم تختلف إلى حد أن الشخص يقول الحقيقة بقصد الخداع. وبالتالي، فإن" كل رغبة في الكذب هي بحد ذاتها عار ورذيلة وتحقيقها أمر مكروه"[2].

أما النوع الخامس من الكذب فهو قائم على" استرضاء الآخرين من خلال حديث حلو وشيق"[3]، ويهدف هذا النوع من الكذب إلى قول شيء غير حقيقي إرضاءً لجماعة معينة، أو إلى أن يفعل الإنسان عملا خيّراً ليكسب تعظيماً من الناس فهؤلاء على حد تعبير أوغسطين هم المرائين الذي يريدون إرضاء الناس، وهذا النوع هو إثم وشر لأنه يتعارض مع الإيمان.

أما الذي" لا يؤذي أحداً، بل ينفع مثلاً إذا سألك أحدهم رغبة في الاستيلاء على مال آخر، تعرف أنت مكان وجوده، تكذب أنت وتنفي"[4]. وبالتالي، فأنت هنا تشوه الحقيقة بتأدية شهادة معينة خدمة لمنفعة زمنية، وخلاصاً لشخص معين، أي أن الحقيقة تخفى، ولسنا ملزمين بالتصريح بها، فهذا الإخفاء يمكن أن يندرج ضمن ما يمكن أن يسمى "بالتماس العذر" وهذا هو النوع السادس من الكذب كما حدده أوغسطين.

أما النوع السابع فهو يرتبط بقول الحقيقة، وهو الذي" لا يؤذي، بل فيه نفع للآخر مثلاً إذا سألك أحد القضاة يستنطق شخصاً ترفض أن تتم على الشخص، فتكذب لأنه لا تريد أن ترسل إلى الموت بمطلوب من العدالة للمحاكمة، متى كان بريئا وصديقاً، وحتى إذا كان مذنباً، لأن الإيمان المسيحي يحرَّم علينا قطع الرجاء، واليأس من توبة إنسان وندامته وإصلاحه فنغلق عليه باب التوبة"[5]. ولكن مع ذلك، يلاحظ أوغسطين أن هذا النوع من الكذب يمنع إقامة الصدق الكلي الكلي التام، ويُبعد عن الإيمان. وفي هذه النقطة، نجد أن دريدا يخالف أوغسطين رافضاً اعتبار مثل هذا النوع الذي أطلق عليه " الكذب البريء"[6]، بإنه كذب، بل اعتبره من حالات عدم الصدق، لأن مثل هذا النوع لا يؤذي ولا يهدف إلى الخداع. وبالتالي، فهو عند دريدا يقدم تضحيات تجاه الآخر.

في حين أنَّ النوع الثامن من الكذب، يتعلق بالجسد، وهو" لا يضر أحداً، ومن منافعه يحمي من القذارات الجسدية"[7]. ويعطي أوغسطين مثالاً على هذا النوع بأن الأكل في المعتقدات يعتبر نجاسة إذا أُخذ بأيدٍ غير مغسولة. إن غسل اليدين فعل عادي وصحي، إلا إنه في الطقس الديني يصبح فعلاً رمزياً يشير إلى الطهارة الروحية، وما يهدف إليه أوغسطين في هذا النوع من الكذب للمحافظة على فكر سليم وجسم عفيف.

[1] - أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب.(مصدر سبق ذكره)، ص.117.
[2] - المصدر نفسه، ص.178.
[3] - المصدر نفسه، ص.158.
[4] - المصدر نفسه، ص.158.
[5] - المصدر نفسه، ص.158.
[6] - دريدا، جاك. تاريخ الكذب، مقدمة:،(مصدر سبق ذكره)، ص.118.
[7] – أوغسطين. تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب.(مصدر سبق ذكره)،ص.199.

ومما تقدم نستطيع القول: أن أوغسطين وبعد أن حلَّل أنواع الكذب في ثمانية أنواع، وجد أن الوصايا الإلهية تحرّم الكذب، بكافة أنواعه مستنداً بذلك إلى القول" إياك والكذب، وكل الكذب"[1] فمن وجهة النظر هذه يعتبر الكذب بأنواعه الثمانية خطيئة، يقصد بها خداع الآخرين والحاق الأذى بهم، ولذا فهو مرفوض. وهذا الرفض للكذب عند اوغسطين مبرر كونه ينتمي للدين المسيحي الذي يدين الكذب ادانة صارمة. وفي هذا السياق يؤكد الكسندر كويري" إن هذه الادانة أمر مفهوم، لما كان إله هذه الديانات إله النور والوجود، فإن ذلك ينتج عنه بالضرورة أنه أيضاً إله الحقيقة. فالكذب، أي قول ماليس موجوداً، وتشويه الحقيقة وإخفاؤها هو إذن خطيئة، بل إنه خطيئة فادحة جداً، إنه خطيئة الغرور والكبر، خطيئة العقل والروح، إنه خطيئة تبعدنا عن الله وتجعلنا معارضين له"[2].

خامساً: الاستنتاجات والتوصيات :

في نهاية هذا البحث، يمكننا القول إن أهم ما يميّز قراءة دريدا لمفهوم الكذب الأوغسطيني هو تأكيده على العلاقة الجوهرية التي تربط الكذب بالقصدية(قصدية القول ونية الخداع)، ومن خلال هذا التأكيد، شرع دريدا إلى اعتبار أن القصد يتخذ معناً أدائياً مرتبطاً باللغة، وبالتالي يكون قادراً على كل مواجهة بين الكذب مع الادعاء بالقصدية أن تعيد صياغة هذه العلاقة بترتيب آخر، فالكذب عند أوغسطين يتطلب موضوعاً مقصوداً يلعب الوعي فيه دوراً حاسماً في الخداع ولا علاقة له بالواقع الموضوعي وهذا واضح من خلال التأكيد الأوغسطيني على إمكانية أن يكذب الشخص بينما هو يقول الحقيقة. لذا حاولنا في هذا البحث أن التركيز ليس على علاقة الكذب بفعل القصد العقلي الذي تنباه الفكر الغربي حتى القرن العشرين، بل على العلاقة الجدلية التي تربط بين القصد بالمعنى العقلي والقصد بالمعنى اللغوي كما ذكرنا في بداية البحث لكي نستطيع في المعنى الضمني لمفهوم الأداء الإنجازي المتضمن في فعل الكذب. بالإضافة إلى إعادة النظر في طرح هذا المفهوم الأوغسطيني واستيراده لغوياً والبحث عن دلالات المعنى التي يتأسس عليها وعدم الاكتفاء بالمعنى اللاهوتي والأخلاقي الواضحة في نصوص الأوغسطينية، وفتح دلالة الكذب على معانٍ متعددة. مستندين في ذلك إلى رفض دريدا نعت التعريف الأوغسطيني لمفهوم الكذب بالسطحية. لقد وجد فيه اللبنة الأساسية التي يمكن الانطلاق منها لتقديم تعريف واضح لهذا المفهوم، خاصة الطريقة التي حدد بها أوغسطين مفهوم الكذب وعلاقته بالقصد والوعي الذي يمتلكه المتكلم، والعلاقة التي تربط الدال بمدلوله والأثر الذي يتركه تقع كلها اليوم تحت عناوين فلسفة اللغة والسيمياء. وسوف نختم البحث بالقول إن كان هنالك نهاية للطريقة التي يقدّم بها دريدا الكذب في كتابه "تاريخ الكذب" فهي ذات ارتباط بالتقييم الضمني للقصد أو دوره في تحقيق الفعل من حيث هو فعل إنجازي مرتبط بالكلام.

---

[1] – المصدر نفسه.ص.166.

[2] - كويري. الكسندر. الوظيفة السياسية للكذب الحديث. ت: الحسين سبحان، مؤمنون بلا حدود، مؤسسة دراسات وابحاث، 2015، ص.5.

المصادر والمراجع:

1. أوغسطين. *الاعترافات*. ت: يوحنا الحلو، ط3، دار المشرق، بيروت، ، 1988، 327صفحة.

2. أوغسطين. *تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي، في الحياة السعيدة، في الكذب*. ت: يوحنا الحلو، ط1، دار المشرق، بيروت،2007، 185صفحة.

3. أوغسطين. *محاورة الذات*. ت: يوحنا الحلو، ط1، دار المشرق، بيروت، ، 2005، 95صفحة.

4. دريدا، جاك. *تاريخ الكذب: مقدمة*. ت: رشيد بازي، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 2016، 118صحفة.

5. حنفي، حسن. *نصوص من الفلسفة المسيحية أوغسطين، وأنسلم، والإكويني*. دار التنوير، القاهرة، 1967، 284صفحة.

6. كويري. الكسندر. *الوظيفة السياسية للكذب الحديث*. ت: الحسين سبحان، مؤمنون بلا حدود، مؤسسة دراسات وابحاث، 2015، 18صفحة. info@mominoun.com

7. JACQUES,DERRIDA. *Without Alibi.Stand ford; stand ford university press, Stanford, california* ,2002,p.307

8. REMO,GRAMIGNA. *Augustine on lying; Atheoretical frame work for the study of types of falsehood,department of semiotics, university of Tartu Jakobi, Tartu, Estonia,2013,p.*41

9. YEGEN,GEREN. *Derrida and language; Deconstruction*, Mus Alparslan university,Faculty of communication,2014,p.12.